

129170 - اختلاف العلماء في عد البسمة آية من الفاتحة لا يدخل في تحريف القرآن

السؤال

القرآن الكريم نقل إلينا بالتواتر، من غير نقص ، ولا زيادة ، ولا شك فيه ، ولا ريب ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، وهذا ما تعلمناه وتربينا عليه . سؤالي هو : كيف اختلف أهل العلم من السلف على أن البسمة آية من سورة الفاتحة ، أو أنها ليست بآية ؟ وهل هذا الخلاف معتبر ؟ وأنا هنا لا أبحث في أدلة هذا الفريق ، وذلك الفريق ، ولا أبحث عن معلومات إضافية في هذه المسألة من ناحية فقهية ، فلقد قرأت فيها الكثير والكثير من الأبحاث ، ولكن بحثي وسؤالي هو : كيف نسُوَّغ الاختلاف في آية من القرآن الكريم الذي نقل إلينا بالتواتر ، جمع عن جمع ، وهكذا ، على أنها آية ، أو ليست بآية ؟ هل يجب أن لا يكون هناك خلاف في هذه المسألة ؟ . أرجو أن تنفسوا عني كربة هذا الهم الذي أصابني من هذه المسألة .

الإجابة المفصلة

لم يختلف المسلمون في أن الله تعالى قد حفظ كتابه من الزيادة والنقصان ؛ تحقيقاً لقوله عز وجل : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْدُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر / 9 .

وقد أجمع المسلمون على كفر كل من يخالف هذا فيزعم أن كتاب الله تعالى فيه ما ليس منه ، أو نقص منه ما أنزل الله فيه .

قال القاضي عياض رحمة الله :

"وقد أجمع المسلمون أن القرآن المตلو في جميع أقطار الأرض ، المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين ، مما جمعه الدفتان من أول (الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إلى آخر (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) أنه كلام الله ، ووحيه المنزَل على نبيه محمد صلَّى الله عليه وسلم ، وأن جميع ما فيه حق ، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك ، أو بدأه بحرف آخر مكانه ، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه ، وأجمع على أنه ليس من القرآن ، عاماً كل هذا : أنه كافر" انتهى .

"الشفا بتعريف حقوق المصطفى" (304، 2/305) .

وأما اختلاف العلماء في عد البسمة آية من القرآن أم لا ؟ فلا يدخل في هذا ، لأن أئمة القراءات لم يختلفوا في أوائل السور ، وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على إثباتها في أوائل السور إلا سورة التوبة ، وذلك في المصحف الذي كتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعث به إلى الأمصار .

قال الشوكاني رحمة الله في الكلام عن البسمة :

واعلم أن الأمة أجمعـت أنه لا يـكـفـرـ من أثـبـتهاـ ، ولا من نـفـاـهاـ ؛ لـاـخـتـلـافـ الـعـلـمـاءـ فـيـهاـ ، بـخـلـافـ ماـ لـوـ نـفـىـ حـرـفـاـ مـجـمـعـاـ عـلـيـهـ ، أوـ أـثـبـتـ ماـ لـمـ يـقـلـ بـهـ أـحـدـ ؛ فـإـنـهـ يـكـفـرـ بـالـإـجـمـاعـ .

ولا خـلـافـ أـنـهـ آـيـةـ فـيـ أـنـثـاءـ سـوـرـةـ "ـالـنـمـلـ"ـ ، وـلـاـ خـلـافـ فـيـ إـثـبـاتـهاـ خـطـأـ فـيـ أـوـاـئـلـ السـوـرـ فـيـ الـمـصـحـفـ ، إـلـاـ فـيـ أـوـلـ سـوـرـةـ "ـالـتـوـبـةـ"ـ .

"ـنـيـلـ الـأـوـطـارـ"ـ (ـ215ـ).

وقد جـعـلـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ الـاـخـتـلـافـ فـيـ عـدـ الـبـسـمـلـةـ آـيـةـ مـنـ الـقـرـآنـ ، كـاـخـتـلـافـ أـئـمـةـ الـقـرـاءـاتـ فـيـ بـعـضـ الـكـلـمـاتـ وـالـحـرـوفـ ، فـقـدـ يـثـبـتـ فـيـ بـعـضـ الـقـرـاءـاتـ مـاـ لـاـ يـثـبـتـ فـيـ غـيـرـهـ .

قالـ الشـيـخـ مـحـمـدـ الـأـمـيـنـ الشـنـقـيـطـيـ رـحـمـهـ اللـهـ :

"ـاـخـتـلـافـ الـعـلـمـاءـ فـيـ الـبـسـمـلـةـ ، هـلـ هـيـ آـيـةـ مـنـ أـوـلـ كـلـ سـوـرـةـ ، أـوـ مـنـ الـفـاتـحةـ فـقـطـ ، أـوـ لـيـسـتـ آـيـةـ مـطـلـقـاـ ، أـمـاـ قـوـلـهـ فـيـ سـوـرـةـ الـنـمـلـ : (ـإـنـهـ مـنـ سـلـيـمـنـ وـإـنـهـ بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيـمـ)ـ : فـهـيـ آـيـةـ مـنـ الـقـرـآنـ إـجـمـاعـاـ .

وـأـمـاـ سـوـرـةـ "ـبـرـاءـةـ"ـ : فـلـيـسـتـ الـبـسـمـلـةـ آـيـةـ مـنـهـاـ اـجـمـاعـاـ ، وـاـخـتـلـافـ فـيـمـاـ سـوـيـهـاـ ، فـذـكـرـ بـعـضـ أـهـلـ الـأـصـوـلـ أـنـ الـبـسـمـلـةـ لـيـسـتـ مـنـ الـقـرـآنـ ، وـقـالـ قـوـمـ : هـيـ مـنـهـ فـيـ الـفـاتـحةـ فـقـطـ ، وـقـيـلـ : هـيـ آـيـةـ مـنـ أـوـلـ كـلـ سـوـرـةـ ، وـهـوـ مـذـهـبـ الشـافـعـيـ رـحـمـهـ اللـهـ تـعـالـىـ .

وـمـنـ أـحـسـنـ مـاـ قـيـلـ فـيـ ذـلـكـ : الـجـمـعـ بـيـنـ الـأـقـوـالـ : بـأـنـ الـبـسـمـلـةـ فـيـ بـعـضـ الـقـرـاءـاتـ - كـقـرـاءـةـ اـبـنـ كـثـيـرـ - آـيـةـ مـنـ الـقـرـآنـ ، وـفـيـ بـعـضـ الـقـرـاءـاتـ : لـيـسـتـ آـيـةـ ، وـلـاـ غـرـابـةـ فـيـ هـذـاـ .

فـقـوـلـهـ فـيـ سـوـرـةـ "ـالـحـدـيدـ"ـ (ـفـإـنـ اللـهـ هـوـ الـغـيـرـ الـحـمـيدـ)ـ لـفـظـةـ (ـهـوـ)ـ مـنـ الـقـرـآنـ فـيـ قـرـاءـةـ اـبـنـ كـثـيـرـ ، وـأـبـيـ عـمـرـ ، وـعـاصـمـ ، وـحـمـزةـ ، وـالـكـسـائـيـ ، وـلـيـسـتـ مـنـ الـقـرـآنـ فـيـ قـرـاءـةـ نـافـعـ ، وـابـنـ عـامـرـ ؛ لـأـنـهـمـاـ قـرـءـاـ (ـفـإـنـ اللـهـ الـغـنـيـ الـحـمـيدـ)ـ ، وـبـعـضـ الـمـصـاحـفـ فـيـهـ لـفـظـةـ (ـهـوـ)ـ ، وـبـعـضـهـاـ لـيـسـتـ فـيـهـ .

وـقـوـلـهـ : (ـفـأـيـنـمـاـ تـوـلـواـ فـتـمـ وـجـهـ اللـهـ إـنـ اللـهـ وـاسـعـ عـلـيـمـ)ـ ، (ـوـقـالـوـاـ اـتـحـدـ اللـهـ وـلـدـاـ)ـ الـآـيـةـ ، فـالـلـوـاـوـ مـنـ قـوـلـهـ (ـوـقـالـوـاـ)ـ فـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ مـنـ الـقـرـآنـ عـلـىـ قـرـاءـةـ السـبـعـةـ غـيـرـ اـبـنـ عـامـرـ ، وـهـيـ فـيـ قـرـاءـةـ اـبـنـ عـامـرـ لـيـسـتـ مـنـ الـقـرـآنـ لـأـنـهـ قـرـأـ (ـقـالـوـاـ اـتـحـدـ اللـهـ وـلـدـاـ)ـ بـغـيـرـ وـاـوـ ، وـهـيـ مـحـذـوـفـةـ فـيـ مـصـحـفـ أـهـلـ الشـامـ ، وـقـسـ عـلـىـ هـذـاـ .

وـبـهـ تـعـرـفـ أـنـهـ لـاـ إـشـكـالـ فـيـ كـوـنـ الـبـسـمـلـةـ آـيـةـ فـيـ بـعـضـ الـحـرـوفـ دـوـنـ بـعـضـ ، وـبـذـكـرـ تـتـفـقـ أـقـوـالـ الـعـلـمـاءـ"ـ اـنـتـهـىـ .

"ـمـذـكـرـةـ فـيـ أـصـوـلـ الـفـقـهـ"ـ (ـصـ 66ـ ، 67ـ)ـ .

وـالـلـهـ أـعـلـمـ